٢٣ يوليو الثورة والأزمة

51

حصريا يوسف اللموشي

23 يوليو

الثورة .. والازمة

حسن يوسف الدويني

عبد الناصر .. الثــورة

في تاريخ الشعوب أحداث عظام .. تبقى محفورة في ذاكرة التاريخ .. ترددها الأجيال جيلا اثر جيل .. تشيد بعظمتها وتستلهم منها العبر والدروس .. ان أحداث التاريخ العظيمة تشكل منعطفات تاريخية من أجل صياغة الحياة من جديد سعياً وراء الأفضل والأجدى .. وبحثاً عن عالم حر وسعيد تعود فيه الأمور إلى نصابها الطبيعى .. وأحداث التاريخ العظيمة هى المستودع الذى يمدنا بالعبرة والأمل .. وهى مخزون لا ينضب نستمد منه عبرة الحدث ودروسه السلبية والايجابية .. ونستمد منه الأمل في مستقبل مشرق لحياة جديدة ولمجتمع جديد ..

وفي ذاكرة الشعب العربي تبقى ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م .. الحدث الأكثر حضوراً في خمسينات هذا القرن بل وفي التاريخ القومى للأمة العربية برمته ..

ان ثورة الثالث والعشرين من يوليو في العقد الخامس من القرن العشرين لم تكن حدثاً عادياً في تاريخ أمتنا العربية وعلى الصعيد الدولى عامة .. فهى ليست حدثاً اقليمياً يخص المصريين وحدهم دون سواهم من العرب .. ولم يكن مفجرها « عبد الناصر» شخصية اقليمية ثارت من أجل مصر فحسب بل ثار من أجل كل العرب وتعدت شخصيته حدود الأمة العربية لتتبوأ مركزاً دولياً وعالمياً عظيماً .. ان ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م التى هزت أركان الملكية في مصر وزلزلت الأرض العربية من أقصاها إلى أقصاها .. ورددت الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج شعاراتها ومبادئها .. لايمكن تقزيمها ووضعها داخل اطار اقليمى ومن التجنى وضع زعيمها « عبدالناصر» في موقف كهذا الموقف .. وهو الرجل الذى ألهب مشاعر الجماهير العربية وبث فيها الروح وأمدها بالثقة فعانقته واحتضنته في قلوبها وعيونها حتى صار موالها الدائم وخبزها اليومى ..

ان ما حدث في يوم الثالث والعشرين من العام 1952 م

كان في الحقيقة هو الحدث المنتظر الذى تنتظره الجماهير العربية بفارغ الصبر لتخرج من وحل الهزائم ومن دائرة اليأس والموت .. والأكثر من ذلك كان الرد المناسب الذى استلهم كفاح الجماهير العربية من أجل التطلع إلى مستقبل أفضل وأجمل .. وهو الحدث الذى صاغ أحلامها وأمانيها وبلورها في فترة من فترات تاريخ أمتنا .. وكان الرد القوى الذى خرج من أحشاء هذه الأمة وسط زمن عربي ردىء أقطابه الرديئة الرجعية تلتحم بالامبريالية والصهيونية لتطبق الخناق على هذه الأمة ..

ان ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م .. قد اكتسبت أهميتها الخاصة سواء على المستوى المحلى المصرى أو على المستوى القومى العربي ونهاية بالمستوى الدولى والعالمى ..

— داخلياً .. استطاعت ثورة الثالث والعشرين من يوليو أن تنهى نظاماً ملكياً عميلا مرتبطاً بدوائر الغزاة والامبرياليين وان تؤكد سيادة مصر وسيطرتها على أراضيها ومقدراتها

رافضة الذيلية والتبعية .. وطيلة فترة تاريخها القصير بقيادة «عبد الناصر» استطاعت ثورة الثالث والعشرين من يوليو أن تخطو خطوات عملاقة على طريق اجتثاث الفقر والجهل والمرض وأن تأخذ بيد الانسان العربي المصرى نحو وضعية جديدة .. ان أعظم انجازاتها في عهد عبد الناصر خوضها أول معركة ضد الشركات الاحتكارية وذلك بتأميمها قناة السويس في يوليو 1956 م الأمر الذى أربك مخططات الأعداء وأرغم الغزاة على حمل متاعهم والرحيل .. وكان السد العالى أكبر انتصارات الثورة وقدرتها على الرفض والتحدى .. ساهم ذلك في رفع المستوى المعيشى للمواطن العربي المصرى كما خاض عبد الناصر معركته ضد الاقطاع والقوى البرجوازية باصدار قوانين يوليو من العام 1961 م ..

— وعلى المستوى القومى العربي .. رفض عبد الناصر أن يبقى الوطن العربي منطقة نفوذ وطرفاً ضعيفاً في سلسلة من الأحلاف المشبوهة فكان له دوره البارز في اسقاط حلف بغداد الرجعى .. وكانت الوحدة العربية من أبرز الأساسيات في فكر عبد الناصر واستطاع أن يحقق أول

وحدة عربية في تاريخنا المعاصر محققاً بذلك حلماً عظيماً من أحلام الجماهير العربية ..

— وعلى المستوى الدولى والعالمى .. يكفى أن نقول ان عبد الناصر كان أحد ثلاثة أرسوا دعائم حركة عدم الانحياز مشاركاً بذلك في رسم أحد ملامح العلاقات الدولية في القرن العشرين رافضاً لسياسات الاحتواء والتعسكر ..

لقد تبوأت مصر في عهده مركزاً مرموقاً وحظيت بمكانة عظيمة سواء على المستوى القومى أو الدولى .. ان أقل ما يقال عن ثورة الثالث والعشرين من يوليو .. انها الثورة الأم .. التى استلهمت كفاح الجماهير العربية وبلورت تطلعاتها في شعاراتها ومبادئها التحررية والوحدوية .. انها الثورة التى اغترف منها الثوار مبادئهم واستلهموا أفكارهم فزلزلوا الأرض العربية من تحت أقدام الغزاة والمستعبدين والجلادين .. ومن هول صفعاتهم ترنحت العروش وسقطت تيجان الخيانة .. يد الثورة تمتد إلى اليمن لتسقط حكم الامامية الرجعى المتخلف وسط تحالف امبريالى

رجعى عربي قذر .. المد الثورى التحررى لظاه يصل الجزائر لتتحول أرضها إلى شعلة من نار لا تطيقها أقدام الغزاة فيفضلون الرحيل على تحول جثثهم إلى كوم فحمية .. وفي الفاتح من سبتمبر من العام 1969 م كانت الثورة في ليبيا تتويجاً لثورة الثالث والعشرين من يوليو وتتويجاً لكفاح عبد الناصر وصموده واستمراراً طبيعياً لها في مبادئها وأهدافها وطموحاتها .. حدثاً قابلته جماهير الأمة العربية بكل ترحاب .. تلاحمت معه منذ اليوم الأول .. انه الابن الشرعى لحدث الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م بقيادة عبد الناصر ..

تلك هى ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م .. حدث هز الأرض في خمسينات هذا القرن فكان له صداه الثورى محلياً وقومياً وعالمياً ..

ماهيــة الأزمــة :

الأزمة ان يحدث واقع سيء وغير مرجو من خلال

عمل قصد به غيره .. فوقع الوضع الخاطىء الذى ترتبت عليه معاناة مشكلة أصبح علاجها مطلوباً .. وان تنسب الأزمة إلى الثورة فإن معنى هذا أن يحدث خطأ ما .. فتنتج عنه مشكلة تجعل الغرض الذى من أجله وقعت الثورة مستبعداً .. أو غير قابل للتحقيق في ظل هذه المشكلة ..

إن الثورة حين وقوعها تستهدف جملة من الأغراض العظيمة فإذا حيل بينها وبين ان تحققها فإن سبب ذلك وقوع خطأ ما ، سبب في قيام وضع حال دون أن تؤدى الثورة دورها الذى هو تحقيق أغراضها ..

والحديث عن أزمة الثورة .. يجرنا للحديث عن ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952 م .. إذ بين ليلة وأخرى تنقلب الموازين رأساً على عقب وتتراجع مصر دفعة واحدة من اليسار إلى أقصى اليمين .. الشارع العربي المصرى الذى كان مكتظاً بالشعارات الاشتراكية والقومية والوحدوية يستكين فجأة للاقطاع والبرجوازية وعلى أعلى مبنى فيه ينتصب العلم الصهيوني ممزقاً كل اللافتات والشعارات القومية والوحدوية ..

ما الذى حدث ؟

ولأى سبب تحول المد الثورى التحررى إلى ردة رجعية مخزية ؟

ماذا بقى من ثورة عظيمة كثورة الثالث والعشرين من يوليو في مصر .. وماذا انقطع منها .. ؟

أين يكمن الخطأ في ثورة الثالث والعشرين من يوليو .. وأين تكمن الأزمة ؟



عبد الناصر ٠٠ السلطة

لقد تناسى عبد الناصر ربما من شدة حرصه على مصالح الجماهير .. ان الفارق دقيق جداً بين بقائه على رأس السلطة للحيلولة دون محاولات الكر والفر من جانب القوى المعادية للجماهير للعودة ثانية والاستيلاء على السلطة .. وبين تلازم السلطة والثورة ..

ان عبد الناصر قد وجد في السلطة أسلوباً سريعاً وسهلا للتغيير فاكتفى بالأمر دون أن يدرك أبعاد وخطورة ذلك .. بقرار منه تؤمم المصانع وتحل الأحزاب ويتحقق الجلاء وتعلن الحرب وتتوقف .. إن عبد الناصر لم يدرك ان مجتمعاً لا يتغير من أعلى ولا يمكن احداث عمليات تغيير جوهرية وجذرية في صلبه بقرار من فرد بينما يكتفي الباقون بدور المهلل والمتفرج والمؤيد والمستنكر .. ان عبد الناصر لم يدرك ان السلطة سرطان الثورة .. فأصاب

السرطان ثورة عبد الناصر فذبلت ثم ما لبثت ان ماتت وانتهت .. انتهت بذات السلاح الذى اتخذته وسيلة وحيدة لحمايتها .. انتقل السلاح إلى يد أعدائها وأعداء الجماهير وباتت ناصية الأمور بأيديهم فسُرِقت الثورة وماتت .. لقد تعلمت الجماهير من تجربة بقاء عبد الناصر في السلطة .. تعلمت ان السلطة هى وحدها القادرة على التغيير فتقبلت سرقة الثورة والانقضاض عليها من قبل السلطة الساداتية ببساطة وكأن شيئاً لم يحدث ..

ان الجماهير اعتادت التلقى من أعلى وكان دورها دائماً دور المستقبل لا المرسل .. اعتادت على وجود من يقرر في غيابها وتلك معضلة كل الثورات التى هزت العالم حين يخلط الثوار بين دورهم الثورى وبين السلطة .. لقد تولدت لديهم قناعات خاطئة مفادها أنهم وحدهم من يعبر عن أحاسيس الجماهير وأمانيها .. ووحدهم المؤهلون لحكمها نيابة عنها وبدلا منها .. لقد قفز أغلب الثوار إلى السلطة وسرعان ما أصبحت غاية لهم فتنازلوا عن أغلب شعاراتهم وحاكوا أداة الحكم السابقة التى ثاروا عليها

وحكموا الجماهير التى ثاروا من أجلها .. إننا لا نقصد ان عبد الناصر كان دكتاتوراً ولا نناقش قضية من هذا النوع .. ان عبد الناصر حبيب الجماهير ومعشوقها تهتف باسمه وتحتضنه كان يحقق أحلامها بجرة من قلمه ويترجم مطالبها بقراراته الثورية الشجاعة .. كان يدفعه الحرص والرغبة إلى ذلك دون أن يدرك أنه يسلك طريقاً خاطئاً ينتهى به إلى سبيل مسدود حيث ينتظر النعش الثورة .. ان موقع عبد الناصر من الثورة هو بمثابة المحرك لأى عربة ما أن يتوقف حتى تتحول العربة إلى هيكل فاقداً لأى قيمة ولأى فاعلية .. وكانت الجماهير هى الهيكل الذى يحركه عبد الناصر .. انتهى عبد الناصر فانتهى كل شى ..

* * *

23 يوليو .. التجربة والخطـأ

ان الاسلوب الذى اختاره عبد الناصر لترجمة مبادىء ثورته إلى حقيقة ماثلة .. اسلوب التجربة والخطأ والمبنى على النقد والنقد الذاتي كان نتاجاً لافتقاد عبد الناصر إلى النظرية التى من شأنها كشف العلاقات الظالمة داخل المجتمع العربي المصرى وتدميرها وتقديم البديل الثورى لها وعنها في بناء مجتمع على أسس جديدة عادلة وسليمة ..

ان افتقاد أى ثورة لبديل علمى وعملى يقام على أساسه المجتمع الجديد وعلى أنقاض القديم البالى والظالم .. يعنى بالضرورة أن تبقى الثورة تراوح في مكان ما لا تتخطاه بل والأدهى من ذلك أن تتسم كل خطواتها بالعبثية والعشوائية حيناً وبالتلفيقية والاصلاحية أحياناً أخرى .. ان افتقاد أى ثورة للنظرية الثورية التى تقدم تصوراً شاملا للكون والحياة .. يحدد المشكلات الانسانية السياسية منها والاقتصادية

والاجتماعية ويضع حلولا جذرية لها .. يعنى بالضرورة أن تكرر الثورة ذات القديم البالى ولا يتعدى دورها التشريح والنقد دون ان يطال التغيير العميق والجذرى ..

انه لا يمكن بأى حال من الأحوال تصور حدوث ثورة تهدم مجتمع الجور والعسف والاستغلال لتبنى على أنقاضه مجتمع الحرية والعدالة والسعادة .. بدون ان تمتلك تلك الثورة النظرية الثورية التى تمكنها من تحقيق ذلك ..

ان « الناصرية » ليست نظرية ثورية كما يتوهم الكثيرون. انها لا تتعدى دائرة الاجتهاد والفكر السياسى .. ولم تكن « الناصرية » سوى برنامجاً سياسياً لتحقيق خطوات ثورية آنية لا مستقبلية .. ان عبد الناصر ذاته لم يدّعِ انه الناصرية ولم يدّعِ انه صاحب نظرية بل انه كان يرفضها طوال حياته كتعبير أو مصطلح أو نظرية تنسب إليه .. وحتى الذين يصرّون على ما يسمى بالنظرية الثورية الناصرية لم يحددوا لنا ماهى الناصرية ؟ هل هى خطب عبد الناصر وأحاديثه السياسية أم هى فلسفة الثورة أم الميثاق أم هى جميعها ؟ ولو افترضنا ان ما يسمى بالنظرية الثورية الناصرية هى كل

ذلك فإننا في حقيقة الأمر لانجد أى بناء نظرى يجمعها بل ان كل تلك الأدبيات الناصرية كانت وليدة مناسبات مختلفة ووليدة عمليات جراحية من أعلى هرم السلطة لأزمات معينة .. وعندما غاب الجراح لم يندمل الجرح بقى مفتوحاً فانتعش المرض من جديد وسقطت الثورة صريعة نتيجة ذلك .. إذ ان طريق الثورات ليس طريق المقايضة بين الخطأ والصواب بل طريق الحلول الجذرية النهائية والحاسمة لكافة المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق نظرية ثورية علمية وعملية ..

* * *

23 يوليو ·· الحـركة والتنظيم

يترتب على انعدام وجود النظرية الثورية أن ينعدم وجود أى حركة ثورية .. ان وجود النظرية الثورية التى تكشف القواعد الظالمة وتحددها وتقدم البديل العلمى والعملى عنها شرطاً أولياً وأساسياً لحدوث أى ثورة .. إذ انه لا وجود لأى ثورة بدون نظرية ثورية .. والشرط الثاني الملازم لسابقه يكمن في وجود الحركة الثورية التى تجسد النظرية الثورية على أرض الواقع وتنقل البديل الثورى إلى دائرة الفعل .. ان العلاقات الظالمة الفاسدة ليست آيلة للسقوط مالم تقم الحركة الثورية بمعركة تدور رحاها في أدمغة الناس ومناحى حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .. ان افتقاد ثورة الثالث والعشرين من يوليو إلى النظرية الثورية يعنى بالضرورة افتقادها إلى الحركة الثورية .. ان التنظيمات الشعبية التى أقامتها الثورة

لم تكن في حقيقة الأمر سوى ثوب فضفاض تستر الجميع تحته ومن خلالها تسللت القوى المعادية إلى مواقع السلطة فانتكست الثورة .. وحتى القوى الوطنية والثورية التى كانت بداخلها هى قوى عاطفية توسمت الخير في عبد الناصر فأحبته وهتفت باسمه ..

ان وجود هذه التنظيمات بداخلها الغث والسمين قد شكل خرم الابرة للقوى المعادية لتجارى الثورة إلى أبعد الحدود واللجام بيدها لابيد القوى الثورية .. وحتى ما يسمى بالتنظيمات الناصرية ليست سوى واجهات شكلية عديمة الجدوى والفاعلية .. أهدافها عائمة وصوتها مبحوح ومنقسمة على نفسها .. ان الأحزاب التى حلها عبد الناصر وخاض أقسى معركة معها جسدتها التنظيمات الناصرية من جديد وصار كفاحها منصباً على نيل الاعتراف بالحزب الناصرى وخوضه مهزلة الانتخابات والوصول إلى السلطة كهدف وكغاية في حد ذاتها .. ان ذلك نتيجة طبيعية لغياب النظرية الثورية الواضحة والمحددة المعالم .. فتلقى« الناصريون» الدرس عن عبد الناصر وخلطوا بين الثورة والسلطة بل

والأدهى من ذلك انهم خذلوا عبد الناصر في غير هذا .. وجدوا حيث وجدت الخيانة .. وهاجم البعض عبد الناصر.. ونكص آخرون على أعقابهم واعترفوا انهم كانوا يسيرون في طريق خطأ ..

ان ما يسمى بالتنظيمات الناصرية ربما بقيت عشرات السنين تردد شعارات عبد الناصر كل حسب مصالحه واتجاهاته ولكن دون حدوث التغيير الثورى المطلوب .. لأنها تفتقد إلى النظرية الثورية وهى الأساس الذى يحدث التغيير .. بل اننا نجد ان كثيراً من تلك التنظيمات قد وصل بينها الصراع والشقاق الفكرى إلى طريق لا سبيل لالتقائها وتبدو بينها الخلافات السياسية على أشدها ..

* * *

23 يوليو ‥ تعايش المتناقضات

ان الأرضية الملغومة قابلة للانفجار في أى لحظة .. وان لا سبيل للجمع بين المتناقضات إلا في حالة بالغة الصراع والحدة .. تلك بديهيات لا ينكرها أحد وتناسيها يعني بالضرورة وضع الروح على الكف ..

ان عبد الناصر ربما لم يدرك هذه الحقائق وربما قادته حسن النية والثقة الثورية إلى استنتاجات دفع ثمنها .. لقد هاجم عبد الناصر قوى الاقطاع والبرجوازية والطفيلية ورأى فيها القوى المضادة للثورة وللجماهير الشعبية والمرتبطة مصلحياً بالأعداء .. وليس تعسفاً ضد الحقيقة أو جنوحاً عن الموضوعية القول بان عبد الناصر قد أعطى فرصة ثمينة لتلك القوى لتعيش في كنف «القوانين الاشتراكية» وتترعرع تنتظر الوقت المناسب للانقضاض على الثورة وعلى مكتسبات الجماهير الشعبية ..

لقد ربط عبد الناصر بين قوى الاقطاع والبرجوازية وبين الغزاة والامبرياليين وربط بين معركة الثورة ضدهما.. لكن معركته ضد قوى الاقطاع والبرجوازية والاستغلال ظلت تراوح بين المهادنة والانصهار .. مهادنة ما يسمى بالبرجوازية الوطنية وصهرها في ما يسمى بقوى الشعب العاملة حيث خليطاً من قوى متعددة ومتباينة المصالح أي جمع الأعداء في دائرة الأخوة الوهمية ..

ان عبد الناصر لم يحسم الصراع مع قوى الاقطاع والبرجوازية والاستغلال حسماً ثورياً وجذرياً يجردها من أدواتها وفعالياتها ويقضي على أحلامها وآمالها إلى الأبد .. انه بموقفه المهادن معها قد جدد فيها الأمل وترك لها منه بصيصا .. ولم تكن « القوانين الاشتراكية » التي أصدرها عبد الناصر في الملكية والتأميم وغيرها سوى عملية تقليم أظافر « لغول » يحتاج إلى هذه العملية حتى تقوى أظافره في الوقت المناسب لينقض من جديد ..

لقد تناسى عبد الناصر ان الصراع مع تلك القوى لن

ينتهى بقوانين تصدر من رأس السلطة ونسى وهو يعيش على صوت الجماهير وهتافاتها المؤيدة ان الجماهير لم تدخل المعركة ضد أعدائها ولم تحسمها حسما أبدياً لصالحها .. لقد تسنت فرصة العمر للقوى المعادية للثورة والجماهير ان تخترق الثورة من خلال التنظيمات الثورية التى أقامها عبد الناصر ذاته .. وتمكنت من شل فاعلياتها وحولتها إلى مجرد واجهات هشة .. وفي الوقت الذى نزع فيه الفتيل تزلزلت الأرض الملغومة ودارت عجلة التاريخ وعادت مصر ثانية مسرحاً لقوى الاقطاع والبرجوازية والاستغلال ومربضاً لقواعد الغزاة والامبرياليين ونهشت القوى المعادية جسد الثورة وجسد الجماهير ..



الخلاصـــة :

لقد كانت ثورة وانتهت .. بفعلها تحطمت الملكية في مصر وتهاوت أصنامها وتناثرت أوراقها الرجعية .. وبرزت هوية ثورة الثالث والعشرين من يوليو من العام 1952م ثورة قومية ومنارة للقوميين العرب ونبعاً لكل أحرار الأمة العربية .. أيقظت الجماهير العربية من سباتها وألهبت مشاعرها القومية بمناصرتها للثورة في اليمن والجزائر وأحدثت فعلها القومى الوحدوى في اعلان الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا ..

لقد أحب الجميع عبد الناصر .. بقـوة من الأعماق .. لكن عبد النـــاصر انتهى ومعـــه انتهى كل شيء لأن نهايـــة عبد الناصر فسحت الطريق تماماً أمام الخونة والانتهازيين والمتلونين بمختلف الأصباغ للانقضاض على السلطة ونهب ثروة الجماهير ..

ـ عبد الناصر لم يحصن منهاجه الثورى والقومى بالجماهير .. بل استند في ذلك على انتهازيين ووصوليين يرتدون الأقنعة يقولون مالا يفعلون .. ويفعلون عكس ما يقولون ..

ـ الجماهير لم تشارك عبد الناصر في صنع الانجازات الثورية بل استلمتها من عبد الناصر على طبق من ذهب ورغم حبها وتقديرها لعبد الناصر إلا أنها لم تستطع بل لم تبادر لحماية مكتسباتها وكأنها ليست ملكاً لها حتى تحميها ..

كانت ثورة فانتهت .. الناصريون أمام امتحان صعب بين التطلع إلى أريكة السلطة هدفاً وغاية .. وبين زلزلة الأرض من تحت أقدام الرموز الفاسدة لتعود إلى مصر روحها الثورية الناصرية .. اختبار المصداقية من عدمها ..

❋❋❋

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية



حسن يوسف الدويشي
حسن يوسف الدويشي